

القارئ وتلقى النص الأدبي في النقد المغربي القديم

التجيبى وكتابه " المختار من شعر بشار"¹ أنموذجا

*The reader and receive the literary text in ancient maghiribin criticism
el mokhtar min chiar bachar of tojaybi, book model*

الدكتورة: نجوى منصورى

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة باتنة 1 (الجزائر)

nejouan@gmail.com

الدكتور: عبد المالك مغشيش

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة عباس لغرور خنشلة (الجزائر)

abouaroual@gmail.com

تاريخ القبول: 2019/09/29

تاريخ الإيداع: 2019/09/24

ملخص:

اهتم النقاد المغاربة القدامى بمتلقي النص الأدبي، و مرد هذا الاهتمام؛ أن الإبداع إنما وجد ليقرأ، و أبداع ليتلقى ويفهم، بحيث شكّلت العلاقة التي تربط النص بقارئه في النقد المغربي القديم، صورة من صور انفعال متلقي النص لجمالياته بدء من لحظة الالتقاء والتي تمثل نقطة التأثير النفسي الذي يولد رغبة القارئ في كشف سبب ذلك، ووصولاً إلى البحث النقدي الذي يفرز جماليات النص التي كانت سبباً في قراءة النص وتذوقه.

تحاول هذه الدراسة تتبع فعل التلقي الأدبي في النقد المغربي القديم من خلال نموذج الممثل في كتاب "المختار من شعر بشار" للتجيبى، ومحاولة فهم منطق التلقي والقراءة عند هذا الناقد والمرتبطة بثقافة العصر (القرن الخامس الهجري) ومواقف نقاده وتصوراتهم للتلقي الأدبي (الشعري) في تلك الحقبة التاريخية .

الكلمات المفتاحية: التجيبى؛ (القارئ؛ النص؛ المبدع؛ التلقي....)

Abstract:

Ancient maghiribin critics were interested in receiving the literary text. The reason for this concern is that creativity is there to read it, and the

author created it to receive it and understand it, The relation between the text and the reader In the ancient maghiribin criticism, created a picture that represents how the reader was affected by the beauty of the literary text, Starting from the moment of approach that represents the moment of psychological impact of the reader, which gives him the desire to reveal the cause, And access to critical research, which reveals the aesthetics of the literary text that was a reason to read and feel the text.

This study attempts to trace the act of literary reception in ancient maghiribin criticism through a book model << el mokhtar min chiar bachar>> And try to understand the logic of reception and reading at this critic, which was associated with the culture of the historical era (the fifth century AH) and their critics and their ideas about the reception of literature (poetry) at that time

key words: eltojaybi;the reader; Text; Creative; Receive

1- القارئ والابداع الأدبي:

تحاول القراءة النقدية للنص الأدبي فك شفراته وتبيد الغموض الذي يصفه كونه ظاهرة إبداعية تلتقي فيها مجموعة من المكونات النفسية والثقافية والانثروبولوجية...والهدف من ذلك هو تقديمه للمتلقى المطلق على اختلاف مستوياته، فالتلقي النموذجي للنص الأدبي، هو قراءة منتظمة مبنية على أسس نقدية متينة، يتجاوز فيها الناقد القارئ مقاصد المؤلف إلى مقاصد النص؛ وهذا ما عبر عنه "محمد مفتاح" في قوله: «إن عملية التلقي المباشر هي ما دعونا بمقاصد المؤلف، تلك المقاصد التي يمكن أن يدركها القارئ العادي والقارئ المحترف، و يمكن أن تلقن في صفوف معينة، على أن الأمر يبدأ في الصعوبة حينما تتجاوز المقاصد المؤلف إلى مقاصد النص، ولا تدرك مقاصد النص إلا بالقراءة التحليلية؛ هذه القراءة التي تعبر الاهتمام إلى الموضوعات الفنية التي صيغ بها النص»⁽²⁾، والتي بها يتجاوز الناقد القارئ الإدراك المباشر، ويلج فيما وراء المقصود والمبوح به إلى ما ضمير في النص وسُكّت عنه، وتلك هي قراءة التأويل، التي تفود القارئ المؤول إلى أن «يُقَوَّل النص أو الخطاب ما لم يقل، و تبعاً لذلك قد يلقي أضواء كاشفة على مكبوتات ومحبوسات من خلال مؤشرات نصية، وبهذا تزيد القراءة العاملة المبدعة على ما قصد المؤلف والخطيب، فتكشف على مقاصده ومقصدياته»⁽³⁾.

تلقاء ناظرك»⁽⁹⁾ وتسوقنا هذه النماذج إلى تصور معرفي جمالي ضيق إلى حد ما، يتمثله مفهوم القارئ وعلاقته بالنص الأدبي عند الناقد العربي القديم.

وبالرغم من سداجة العلاقة التي تربط النص بقارئه في التصور النقدي العربي القديم، فقد شكلت مهاد فكرة التلقي والتي أنبتت على ما يحدثه النص الأدبي في نفس الناقد قارئه، من خلال لحظة الوقع⁽¹⁰⁾ والتي تمثل لحظة التقاء النص والقارئ، وهي مفهوم يحيل إلى التأثير النفسي الآني لقارئ النص ولا يرقى إلى ما عرفته نظرية ياوس من توسعات في مفاهيم الأثر والوقع وتعمق فيها، وهو ما يحتم على الباحث التعامل مع قضية تلقي النص الأدبي في النقد العربي القديم (ومنه المغربي) وفق منطق الناقد وتصورات المرتبطة بزمانه؛ فلكل ناقد ثقافته وفكره ولغة عصره، ومن الضروري دراسته من خلال فكر الحقبة التاريخية التي ينتمي إليها، أي داخل المجال التاريخي لهذا الفكر⁽¹¹⁾.

طوّر الناقد العربي عمله النقدي بحسب المرجعية الثقافية والفكرية التي سادت عصره، في محاولته الإجابة عن أسئلة متعلقة بالنص ومقصدية تأليفه، وكيفية اشتغاله، وكيفية تلقيه، وارتبطت الأسئلة بعضها ببعض عبر السيرورة الزمنية للإبداع والنقد معا منذ القدم، بحيث تعالقت الدراسات التي طرحت تلك الأسئلة بأزمنة سابقة أو بمرجعياتها النقدية، وهذا ما ينطبق على فكرة التلقي أو القراءة التي ظهرت في صورتها البسيطة في نقدنا العربي (والمغربي) القديم، ونضجت في الفكر النقدي العربي الحديث بحيث تجاوزت المبحوث عنه إلى المسكوت عنه.

و المسكوت عنه قارئ ضمني، يعمل على جذب القارئ الحقيقي (الناقد) للبحث في النص؛ ويمثل الآليات النصية الموجبة لفعل القراءة وممارسات الناقد التحليلية والتأويلية لكشف أبعاد النص وكيفيات اشتغال عناصره الجمالية⁽¹²⁾. يقول أيزر: (IZER) إن «القارئ الضمني لا يملك وجودا حقيقيا لأنه يجسد مجموع التوجهات الأولية التي يقترحها نص تخييلي على قرائه الممكنين والتي هي شروط تلقيه. نتيجة لذلك، فإن القارئ الضمني ليس منغرسا في جوهر تجريبي، بل هو متحذر داخل بنية النصوص نفسها»⁽¹³⁾. وهو مانجده عند الفرابي في قوله: إن « غاية الشعر تتمثل فيما يوحي به من وقفة سلوكية، يدفع الشاعر إليها المتلقي، لا بأقوال مباشرة وإنما بأقوال مخيلة، يكون بينها وبين السلوك المترجى علاقة نفسية قوية. بمعنى أن القصيدة تقدم من مخيلة المتلقي مجموعة من الصور، تستدعي من ذاكرته الطائفة ومن الخبرات المختزنة، تتجانس محتوياتها الشعورية والانفعالية مع صور القصيدة، مما

يفرض على المتلقي حالة نفسية خاصة، تجعله يقف ضد أو مع موضوع التخيل الشعري، و بالتالي يسلك إزاءه سلوكا معيناً»⁽¹⁴⁾.

و السلوك الشعوري الانفعالي هو بداية البحث الجمالي في الغموض المسبب له وإحساس المتلقي بالجمال أو القبح يمهد له طريق البحث ؛ ذلك أن «قراءة النص الأدبي تقتضي أدبية القراءة، وتلقي الجمال يفترض جمالية التلقي أو النقل، بعبارة ثانية، إن أدب الكاتب، يوجب أدب القارئ. لهذا نرى أن السؤال حول كيفية تلقي النص و شروطه، لا يقل أهمية عن السؤال حول شروط إبداعه. فمن مهمات النقد أن يتناول التلقي/القراءة بقدر ما يتناول النص الإبداع»⁽¹⁵⁾، فالنص، بحسب رأى أدونيس، يتمتع بخصوصية جوهريّة «تتمثل في كونه عملا لغويا، من جهة، و عملا جماليا، من جهة ثانية، أي في كونه طريقة نوعية. في استخدام اللغة، وطريقة نوعية في الاستكشاف والمعرفة»⁽¹⁶⁾، و لا تتحقق هوية النصية واقعيًا إلا من خلال قارئه .

ولعل هذا التصور حول أهمية القارئ يحيل إلى لغة التواصل بين النص وقارئه والتي اعتبرها النقاد القدامى لغة تراثية جماعية وليست محصورة بين فئة الشعراء وحسب ، فالشعر العربي موروث ينتمي إلى الأمة أكثر من كونه إبداع أفراد مختلفين⁽¹⁷⁾ ، ولغة الجماعة أو لغة القارئ المطلق بمستوياته المختلفة، تتميز بوظيفتين أساسيتين: «أولهما: تكمن في القيام بشحن الفكر. وثانيهما أنها وسيلة لنقل الأفكار والمعاني من الكاتب إلى القارئ»⁽¹⁸⁾ ، ولذلك فهي تساعد على فهم العمل الأدبي، والحكم على النص (الشعري) من خلال لغته واعتبارها من المقاييس الأساسية في العمل النقدي ؛ فلغة الأدب لغة إيحائية نفسية، وتمثل المفتاح النصي الذي يقود الناقد نحو خبايا النص وقياس مدى نجاح المبدع أو فشله في تجربته الإبداعية.

و اعتبار اللغة مقياسا أساسيا في العمل الأدبي، و شفرة أولية فيه ، أخذ اتجاهها جديدا وحظي بقسط أوفر من الاهتمام مع نضوج النقد العربي الحديث الذي جعل من النص «بنية من الإشارات اللفظية»⁽¹⁹⁾ ، ويتجلى هذا الاتجاه في نقد مصطفى ناصف الذي يجعل مهمة الناقد الأساسية والحقيقية «في التحليل ومعرفة طبائع الأشياء مستقلة ما أمكن»⁽²⁰⁾ ، و يظهر اتجاهه اللغوي حين يقول: «رسالة الشعراء ذات طابع نحوي، إن الخاصة المميزة للقول أو صورته الباطنية هي النحو»⁽²¹⁾. ولعل الاهتمام الذي حظي به المقياس اللغوي، قديما و حديثا، يعود سببه إلى تبني الخصائص المنهجية التي يتمتع بها المنهج اللغوي⁽²²⁾.

2- الاستعداد النفسي لتقبل العمل الأدبي:

إن تجربة القارئ الجمالية في تلقي النصوص الأدبية كانت موضع مناقشة وبحث من قبل الكثير من النقاد والدارسين، لكن الجوانب النفسية لهذه التجربة كانت أوفر حظاً من الجوانب الاجتماعية⁽²³⁾، فالثابت، عندهم، أن «الأقويل الشعرية هي مبعث التأثير في القارئ و أحداث الارتياح النفسي. فكلما كان النص أبداعاً كان أنفذ إلى ذهن المتقبل وأقوى على الأخذ بمجامع القلوب»⁽²⁴⁾. يقول حازم القرطاجي: «ليست المحاكاة في كل موضع تبلغ الغاية القصوى في هز النفوس و تحريكها بل تؤثر فيها بحسب ما تكون عليه درجة الإبداع فيها...»⁽²⁵⁾، فالولوج إلى النص الأدبي واكتشاف طاقته التأثيرية والجمالية لا يتحقق إلا بعاملين نفسيين يجمعهما حازم القرطاجي في لفظة "الاستعداد" ويتلخصان في أن تكون للنفس حال وهوى قد تهيأت بهما لأن يحركها قول ما⁽²⁶⁾ وأن تعتقد النفوس أن في الشعر حكم و« أنه غريم يتقاضى النفوس الكريمة الإجابة إلى مقتضاه بما أسلمها من هزة الارتياح لحسن المحاكاة»⁽²⁷⁾ فالتلذذ بالشعر و تذوقه و كشف فنياته وثيق الارتباط بالاستعداد النفسي للمتلقى وتحقق الألفة، ويكون الحكم على النص أو تحليله مستند إلى هذا الاستعداد.

3- تلقي النص الأدبي بين الغاية الجمالية والوظيفة التوجيهية للناقد :

يعد الناقد الأدبي أول من يحتك بالنص، ويمثل الوسيط بين الإبداع و جمهور القراء على اختلاف مستوياتهم، بحيث ينقل انطباعه وحالة التأثير التي تقع له في تلقيه النص، من خلال الأحكام الذوقية والتحليل الذي يعلل أثر النص في قارئه الناقد. يقول ديفيد ديتش: «يستطيع الناقد أن يعد نفسه حكماً يقدر كل أثر أدبي عدد ما يستحقه من درجات أو يقف وسيطاً بين الأثر الأدبي و القارئ، قادراً على أن ينقل النكهة و المتعة إلى القارئ و يعينه على أن يستشعر المتعة بالمثل»⁽²⁸⁾. بحيث تمثل "التأثيرية" منطلق العملية النقدية ووظيفتها التوجيهية.

ويتحقق مفهوم التأثيرية، باعتبارها ثمرة التفاعل القائم بين الإبداعات و القراء، من خلال بوح الناقد بالتأثيرات الحسية التي يصنعها العمل الإبداعي و الاستجابات الانفعالية التي تنتهي إلى تذوق الجمال ، وكذلك بيان أهمية الاستجابة الجمالية في تقبل و قراءة النص، ومن ثم تأتي محاولة الاجابة عن التساؤلات التي تقلص المسافة بين القارئ و النص وبالتالي محاولة فهم العمل أو الصناعة الإبداعية وتحقيق التواصل المرجو من عملية القراءة ، ولذلك يكون مفهوم التأثيرية وفق هذا التصور من أسس التلقي الجمالي المحقق للقراءة النقدية .

فالناقد من خلال تقديمه لمعنى التأثيرية وأهميتها في القراءة والتلقي ، يساعد جمهور القراء على محاولة تحقيق التواصل المرجو بينهم وبين النص، من حيث كشف «صفات من القوة و الجمال و ثروة من اللذة و عمقا من الأهمية لا نستطيع بدون هذه المساعدة إلا أن نطل

عنها عمياً. فالناقد كثيراً ما يعطينا وجهة نظر جديدة تماماً، وكثيراً ما يؤدي مساعدة خاصة بأن يترجم إلى تعبير محدد إحساسات لنا كنا نحس بها إحساساً مهماً غامضاً ليس له قيمة عملية. فهو أحياناً مستكشف يستكشف أرضاً جديدة، وهو أحياناً رفيق صديق يدلنا على جوانب غير منظورة من الأشياء التي نمر بها في طريقنا حتى تلك التي نعرفها معرفة جيدة. وهكذا يعلمنا أن نقرأ ثانية لأنفسنا بذكاء أعظم وبتقدير أعمق⁽²⁹⁾. وليس ذلك فحسب، بل إنه «كثيراً ما يؤدي لنا أعظم المساعدة حين يتحدى أحكامنا الخاصة ويعارض آراءنا التي سبق أن كونها ولا يقتصر على التعليم بل الإثارة والاستفزاز»⁽³⁰⁾.

إن الإدراك الجمالي للنص الأدبي الذي يصرف ذات القارئ متقبل النص بحكمه الذوقي الجمالي إلى النص ذاته وموضوعه «من شأنه أن يزيد من خصوبة الذات لأنه عادة ما ينمي لديها ملكة الذوق، و ما الذوق إلا وسيلة نحو إصدار حكم جمالي معين»⁽³¹⁾. يقول كرومبي، موضحاً هذه الوظيفة الجوهرية: إن وظيفة النقد تكمن في «هداية القارئ إلى تكوين رأي صحيح عن نتاج أدبي موجود عن طريق أسئلة معقولة يسألها المرء عن كل شيء يتعلق بالأدب ثم الإجابة عنها كذلك إجابة عقلية»⁽³²⁾. فالنقد هو «بمثابة أعلام منصوبة تهدي إلى كيفية التدقيق ووسائله، و تبصر الناقد إلى ما ينبغي أن يوجهه باصرتة إليه في نقد الأساليب، و متى عرف الأجزاء عرف كيف يهدي من خلالها إلى معرفة الكل و المجموع»⁽³³⁾، والأمر كذلك إذا ما تعلق بالقارئ المبتدئ، أو البسيط والذي غالباً ما يستغل عليه النص فيأتي النقد ويحاول فك ذلك الاستغراق موضحاً الاضمار النصي أين تقبع جمالية النص .

ولذلك تكون وظيفة الناقد ومسؤوليته في توجيه الذوق العام نحو قراءة واعية للنص الأدبي باعتبار العملية النقدية ظاهرة اجتماعية تتعدى حدود الموقف الشخصي إلى الموقف الجماعي، و باعتبار الناقد واسطة شفافة لا تحول بين القارئ المطلق و الأديب المنتج و إبداعه بحال⁽³⁴⁾.

4- القارئ عند التجيبي القيرواني:

ألف التجيبي كتاباً نقدياً يضم مختارات من شعر بشار بن برد، اتخذها المؤلف مادة للبحث في قضية السرقات عند هذا الشاعر وغيره ممن سبقه أو عاصره من الشعراء، وكان عنوانه "المختار من شعر بشار"، والتفت فيه الناقد إلى أصول معانيه في مختاراته، وتتبع معانيه المحدثات التي تفرّد بها "بشار" وأخذها عنه من جاء بعده من الشعراء.

ومن المعاني المحدثة عند بشار ما جاء في وصف الليل الطويل، ووصف مكارم الأخلاق، وذكر حسن الحديث، وذكر التشوق والارتياح، ووصف الجيش، والدعوة إلى اللذة والجبرية... وغير ذلك⁽³⁵⁾.

يعد الكتاب درة يتيمة لصاحبها التجيبي، فهو مدونة أدبية تحفظ نصوصا نادرة تفتقر إليها مصادر الشعر العربي القديم، كما أنه مدونة نقدية تهتم بحس القارئ وذوقه، وثقافته الممثلة في رواية الشعر ومعرفة أصول اللغة والكتابة بها وخصائصها الأسلوبية والفنية

لم يكن الهدف من تأليف الكتاب التعريف بشعر بشار بن برد وتقديمه لجمهور القراء المغاربة وحسب، وإنما، أيضا، مقارنة النص الشعري ومحاولة فك اللبس عن بعضه بحيث يتبدد الغموض وتتضح المعاني التي تظهر تعالقا بما جاء عند الشعراء ممن سبقوا بشار أو عاصروه، أو ما تظهر جذتها وأصالتها في شعره، ولعل ما قدّمه التجيبي، من خلال عمله النقدي على النص وفق منهجه المذكور، يقرب النص لجمهور القراء ويوجه فعل القراءة في الانطلاق من البحث اللغوي الذي يفضي إلى المعاني ومنه إلى تجلية فعل السرقة مما يشبهها في مجال المعاني الشعرية، والتوجيه يتحدد في صورتين متلازمتين: الأولى تتعلق بآليات تحليل النص ومنهجيته في الانطلاق من الجزء إلى الكل أو من الظاهر إلى الباطن أو من اللغة إلى المعنى، والصورة الثانية تتعلق بفائدة التحليل الذي يفضي إلى النظرية بحيث يكون التعامل مع النص أساسا في وضع النظرية أو الموقف النقدي حول القضايا التي عرفها النقد العربي القديم، ويكون ذلك متكؤ الناقد في شرح وجهة نظره في قضايا النص الأدبي ومنها قضية السرقات الشعرية. وهذا ما نجده في مقارنته إحدى مقطعات بشار بن برد (أبو معاذ، كما يقول): «وقول أبي معاذ من قصيدة:

شربنا من فؤاد الدن حتى *** تركنا الدن ليس له فؤاد

وليس الجود منتحلا ولكن *** على أعراقها تجري الجياد

ويوم في بني جشم بن بكر *** نعمت به وندماني زياد

إذا ما شئت غناني كريم *** له حسب وليس له تـلاد

يقال نديم وندمان، وجمع نديم ندماء كظريف وظرفاء وشريف وشرفاء وجمع ندمان ندام كعطشان وعطاش وظمان وظماء وهو الصاحب على الشراب، والحسب ما يعد للرجل من المآثر، رجل حسيب أي ذو مآثر وشرف وأصله من العدد يقال حسبت الشيء حسبا وحسبانا

وحسبنا إذا عدده والمعدود حسب يقال . قد دخل هذا في الحسب أي في الشيء المحسوب
فالحسب في الرجال من تعد له أفعال حسنة أو آباء أشراف ، والتلاد ما ولد عندك وهو
خلاف التليد لأن التليد ما ولد عند غيرك ثم اشتريته صغيرا فثبت عندك «⁽³⁶⁾

وبعد استجلاته لغة النص وتبيدها غموضها ينتقل إلى بيان معانيها المتداولة عند غيره
من الشعراء من أمثال أبي نواس وابن معتر وآخرون ، وكأننا بالناقد يكشف المعنى من خلال
التشكيل اللغوي للنص، يقول:«أخذ النظام قوله شربنا من فؤاد الدن حتى البيت فقال

ما زلت أخذ روح الزق في لطف *** وأستبيح دما من غير مجروح

حتى انثنيت ولي روحان في جسدي *** والزق مطرحا جسم بلا روح

وقريب منه قول عمرو بن قعاس :

وكنت إذا أرى زقا مريضا *** يناح على جنازته بكيت

وقول ابن معتر:

والزق في روضة تسيل دما *** أوداجه جاثيا على الركب

ويتطرق هذا المعنى قول الشريف أبي القاسم ارسى (...)⁽³⁷⁾ . فيسهل على القارئ مقارنة معنى
بشار بمعنى غيره ممن ادعى التجيبي أنه قد أخذه عنه أو مع من أخذ بشار منه ، خاصة وأنه
خص أبيات بعض من تداولوا المعنى بالتفسير اللغوي . وكذلك فعل مع قول أبي معاذ :

خليلي إن الموت ليس بناهل *** وليس الذي يهدي المنايا بغافل

خليلي يفني الموت كل قبيلة *** وما أنا إلا في سبيل القبائل

فروحا على مالي كلا من فضوله *** فما تجمع الأموال إلا لاكل

إذا أنا لم أنفع بجاهي ولم أجسد *** بمالي طالتني يد المتناول⁽³⁸⁾ .

فبعد أن يشرح ألفاظ الأبيات يذهب إلى بيان معانيها المتداولة عند غيره من الشعراء،
«الناهل ههنا : العطشان ويكون الريان وهو من الأضداد ، وقد قيل: إن أصل الناهل الريان
وإنما قيل : للعطشان ناهل على طريق التفاضل له بالري (...) ويقال : طال فلان فلانا يطول طولاً
إذا علاه بفضل فيه والمتناول المتفاعل من الطول كالمغافل والمتعافل والمتساخي والمتغابي هو

الذي يستعمل هذه الأشياء وليست فيه ، فهو يأتيها استعمالاً وليست له طبعاً كما قال أبو تمام:

ليس الغبي بسيد في قومه *** لكن سيد قومه المتغابي

أي المستعمل للتغابي والتغافل ، وليس بغبي ولا غافل (...) فقول بشار. طالتني يد المتطاول . أي إن أنا لم أفعل ما ذكرته من النفع بجاهي والجود بمالي غلبتني يد المغلوب ، وقصرت بي عن الفضل يد المقصر عنه فكيف بمن سواهما ؟ قوله . إذا أنا لم أنفع بجاهي . البيت من قول عدي بن مزيعب اللخمي (...) وأخذ المتنبي معنى صدر البيت الأول فقال :

لا يعتقي بلد مسراه عن بلد *** كالموت ليس له ري ولا شبع

يقال عاقه يعوقه، وأعتاقه يعتاقه ، واعتقاه يعتقيه ، وعوقه يعوقه كل ذلك إذا منعه من الشيء الذي يريده وحال بينه وبين مراده فيه»⁽³⁹⁾.

كانت آليات الناقد في مقارنة نصوص بشار الشعرية، من حيث شرحه للغة وتقصيه عن المعنى، وسيلة علمية في محاولة الوصول إلى موقف صريح حول سرقات الشعراء، من حيث كونها معان متداولة مبتذلة قد سبق بشار إليها ، أو كونها معان محدثة أصيلة أو مولدة يتفرد بها، بل للكشف عن معاني من سبقه ومن لحقه من الشعراء الذين تداولوا المعنى ذاته، وكان هدفه البعيد، من وراء ذلك ، الوقوف عند تعالق المعاني لدى قدامى الشعراء ومحدثيهم وبالتالي الفصل في قضيتين أفضت بهما المدونة الشعرية لبشار بن برد في الكتاب (المختار) وهما: قضية السرقات وقضية القدماء والمحدثين، بحيث تفضن التجيبي إلى ذلك بحكم كون الشاعر (بشار) من المحدثين الذين كثرت حولهم الأقوال النقدية في تأثرهم بالقدماء أو تفردهم بالتجديد الشعري، وعلاقة ذلك بسرقات الشعراء قداماً ومحدثون.

ويتجلى موقف التجيبي في بحث النقدي وفق منهجه المذكور في القضيتين المتلازمتين في القول إن معاني الشعراء قداماً ومحدثون متداولة بينهم، وفضل اللاحق إنما في تجميل صورها وتوليدها حتى تبدو محدثة . ونجده يتفق مع معاصره ابن رشيق الذي جعل القدماء والمحدثين رجلين ، ابتداءً الأول بناء فأتقنه، ولحقه الآخر فأحسن زخرفته⁽⁴⁰⁾ .

وكان بحثه في المدونة الشعرية عن معاني القدماء والمحدثين مسرحاً لمقاربة النص وكشف أساليبه وجمالياته، بحيث استجلى الصور البيانية في النصوص وشرح فاعليتها النصية وفاعليتها القرائية من حيث كونها من المستويات الفنية التي تعمل على جذب ذوق

القارئ وحسه الجمالي، ولذلك تعد من الأنساق الضمنية (قارئ ضمني) التي تفضي بجماليات النص في كليته، ولعل الناقد كان يحاول فتح آفاق قراءة النص الشعري وتوجيه القارئ نحو مسار نقدي يستجلي فيه جماليات هذا النص من خلال تشكيله اللغوي والفني والبياني.

كما اهتم التجيبي بتأثير الشعر في نفوس متلقيه ليقر بأهمية وجود قارئ النص الجمالي و يبرز مدى تأثير القارئ بجمال النص المبدع، واسهامه في الكشف عنه، ونجد ذلك فيما يروييه من حال ابراهيم بن المهدي وهو يتأثر لبيتين قالهما خالد الكاتب ويين موطن انفعاله وطربه فهما، يقول:

رأت منه عيني منظرين كما رأت *** من الشمس والبدر المنير على الأرض

عشية حياني بورد كأنه *** خدود أضيفت بعضهم إلى بعض⁽⁴¹⁾

فزحف عن الفراش، وقال: يا فتى الناس شهوا الخدود بالورد وأنت شميت الورد بالخدود زدني ...⁽⁴²⁾

خاتمة:

القراءة هي عملية اتصال و تواصل بين القارئ والنص تفضي إلى معرفة مرتبطة بثقافة العصر مما يشترك فيه المؤلف (الشاعر) والقارئ (الناقد) والمتلقي العام للنص، بحيث يتشكل الفهم والوعي المرجو من عملية انتاج النص الادبي ومقصدته، وهو ما أحالت إليه النماذج المقترحة في الدراسة من خلال محاولة الناقد في الإشارة إلى تلقي النص الأدبي، بل والبحث في المسببات النصية التي تحرك شغف القارئ بتذوق النص بحسه الجمالي وكذلك بتتبع مواطن الجمال في النص والتي كانت وراء بعث الحس الجمالي في المتلقي.

لم يكتف القارئ الناقد المغربي بتتبع مواطن الجمال في النص وتفريغ احساس بالجمال في ذلك، وانما كان فعل توجيه التلقي العام للنص واضحا في مقارنة النص بحكم خبرته وتجاربه.

الهوامش والاحالات:

1 يعد ابن الأبار المترجم الوحيد الذي اهتم بالتجيبي في كتابه "التكملة لكتاب الصلة" فقد أغفلته كتب التراجم والتاريخ وأهمه المحققون والباحثون ، عدا السيوطي الذي أشار إليه في نبذة يسيرة . هو الشاعر واللغوي والناقد أبو طاهر إسماعيل بن زيادة الله التجيبي ، نسبة إلى تجيب بطن من كندة ، ويعرف أيضا بالبرقي، ولد بالقيروان في أواخر القرن الرابع للهجرة وسكن بالمهدية وهما حاضرتان من أكبر الحواضر العلمية والثقافية

التي عرفت بالمغرب القديم في تلك الحقبة من الزمن... (ينظر، مقدمة كتاب التجيبي " المختار من شعر بشار، اختيار الخالدين" تح ، محمد بدر الدين العلوي ، دار المدينة للطباعة والنشر، بيروت).

2 محمد مفتاح، " النص من القراءة إلى التنظير" المكتبة الأدبية، شركة النشر و التوزيع-المدارس-، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 1999م، ص80.

3 نفسه، ص78.

4 حسين الواد، "قراءات في مناهج الدراسات الأدبية"، سراس للنشر، ط1، تونس، 1985، ص69.

5 مصطفى ناصف، "الصورة الأدبية"، دار الأندلس، ط3، بيروت لبنان، 1983، ص120.

6 عز الدين إسماعيل، "الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض و تفسير و مقارنة"، دار الفكر العربي للطبع و النشر، دار النصر للطباعة، ط1، 1967 ، ص202.

7 البيت الشعري لعدي بن يزيد.

8 ابن سلام الجمحي البصري، "طبقات الشعراء، الجاهليين والإسلاميين"، حققه و ضبط أصوله: مصطفى أبو الجواد عمران، المطبعة العربية، ط2، المكتبة المحمدية التجارية، مصر، 1967، ص34.

9 محمد مندور، "النقد المنهجي عند العرب"، دار نهضة مصر للطبع و النشر-الفايزة- القاهرة، ص385.

10 ينظر إرود إيش، "التعريف بجمالية التلقي و نقدها، التلقي الأدبي"، ترجمة محمد برادة، دراسات سيميائية أدبية لسانية، ع6(عدد خاص حول جمالية التلقي)، خريف/شتاء 1992م، ص52.

11 نفسه ، ص52.

12 نفسه، ص84.

13 نفسه، ص 13.

14 جابر عصفور، "الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب"، نشر المركز الثقافى العربى، ط3، بيروت، الدار البيضاء، 1992، ص 24.

15 أدونيس، "سياسة الشعر، دراسة في الشعرية العربية المعاصرة"، دار الآداب، ط 1، بيروت، 1985، ص 49.

16 نفسه، ص 50.

17 ينظر، مصطفى ناصف، "نظرية المعنى في النقد العربى"، دار الأندلس، بيروت، ط1، 2000، ص 100.

18 إبراهيم صدقة، "التأثيرية والنقد التأثرى عند محمد مندور"، رسالة مقدمة لنيل رسالة الماجستير، المعهد الوطنى للتعليم العالى فى اللغة والآداب العربىة.باتنة 1406هـ/1986م ، ص 324.

19 أحمد رحمانى، "النقد التطبىقى الجمالى و اللغوى فى القرن الرابع الهجرى"، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير فى النقد الأدبى القديم، معهد الآداب و اللغة العربىة، جامعة قسنطينة 1408هـ / 1987 ، ص 46.

20 مصطفى ناصف، "دراسة الأدب العربى"، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزىع، ط3 بيروت-لبنان، 1983م، ص 14-19-25.

21 أحمد رحمانى، "النقد التطبىقى الجمالى و اللغوى"، ص 47.

22 ينظر، محمد زكى العشماوى، " قضايا النقد الأدبى بين القديم والحديث"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت -لبنان-1404هـ/1984م ، ص 337-338.

23 ينظر، شكرى الميخوت، "جمالية الألفة"، النص و متقبله فى التراث النقدى"، المجمع التونسى للعلوم و الآداب والفنون، بيت الحكمة، ط1، تونس، 1993، ص 68.

24 نفسه، ص 68.

25 نفسه، ص 68.

26 شكرى الميخوت، "جمالية الألفة"، ص 69.

27 نفسه، ص 69.

28 أحمد رحمانى، " النقد التطبيقى الجمالى و اللغوى فى القرن الرابع الهجرى"، ص 55.

29 أحمد أمين، "النقد الأدبى"، مكتبة النهضة المصرية، ط3، القاهرة، ج1/193.

30 نفسه، ج1/193.

31 أحمد كمال زكي، "النقد الأدبي الحديث، أصوله واتجاهاته"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، ص 76.

32 خالد يوسف، "في النقد الأدبي و تاريخه عند العرب"، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، ط1، بيروت- لبنان، 1407هـ-1987م ، ص 16.

33 طه مصطفى أبو كريشة، "النقد العربي التطبيقي بين القديم والحديث"، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان-، طبع دار نوبار للطباعة ط1، القاهرة، 1997م، ص 07.

34 محمد مصايف، "دراسات في النقد والأدب"، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط ، الجزائر، 1988م، ص 13.

35 محمد مصايف، مرجع سابق، ص 272.

36 التجيبي " المختار من شعر بشار، اختيار الخالدين" تح ، محمد بدر الدين العلوي ، دار المدينة للطباعة والنشر، بيروت ، ص 42.

37 التجيبي " المختار من شعر بشار ، ص 42 . 43 .

38 نفسه ، ص 130 .

39 نفسه ، ص 130 . 131 .

40 ينظر، العمدة، ج1، ص 92

41 المختار، ص 128.

42 نفسه، ص 128.

بيبليوغرافيا البحث:

_التجبي " المختار من شعر بشار، اختيار الخالدين" تح ، محمد بدر الدين العلوي ، دار المدينة للطباعة والنشر، بيروت .

_ابن سلام الجمعي البصري، "طبقات الشعراء، الجاهليين والإسلاميين"، حققه و ضبط أصوله: مصطفى أبو الجواد عمران، المطبعة العربية، ط2، المكتبة المحمدية التجارية، مصر، 1967 م.

_محمد مفتاح، " النص من القراءة إلى التنظير" المكتبة الأدبية، شركة النشر و التوزيع-المدارس-، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 1999م.

_ مصطفى ناصف، "الصورة الأدبية"، دار الأندلس، ط3، بيروت، لبنان. م 1983.

_ مصطفى ناصف، "نظرية المعنى في النقد العربي"، دار الأندلس. بيروت، ط1، 2000. م

_ مصطفى ناصف، "دراسة الأدب العربي"، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع، ط3 بيروت-لبنان، 1983م.

_ عز الدين إسماعيل، "الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض و تفسير و مقارنة"، دار الفكر العربي للطبع و النشر، دار النصر للطباعة، ط1، 1967 م.

_ محمد مندور، "النقد المنهجي عند العرب"، دار نهضة مصر للطبع و النشر-الفيضان- القاهرة.

_ جابر عصفور، "الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب"، نشر المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، الدار البيضاء، 1992.

_ أدونيس، " سياسة الشعر، دراسة في الشعرية العربية المعاصرة"، دار الآداب، ط 1، بيروت، 1985.

_ محمد زكي العشماوي، " قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان-1404هـ/1984م

- _ شكري المبخوت، "جمالية الألفة"، النص و متقبله في التراث النقدي"، المجمع التونسي للعلوم و الآداب والفنون، بيت الحكمة، ط1، تونس، 1993.
- _ أحمد أمين، "النقد الأدبي"، ج1 مكتبة النهضة المصرية، ط3، القاهرة.دت.
- _ أحمد كمال زكي، "النقد الأدبي الحديث، أصوله واتجاهاته"، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت . دت.
- _ خالد يوسف، "في النقد الأدبي و تاريخه عند العرب"، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، ط1، بيروت- لبنان، 1407هـ-1987م
- _ طه مصطفى أبو كريمة، "النقد العربي التطبيقي بين القديم و الحديث"، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان-، طبع دار نوبار للطباعة ط1، القاهرة، 1997م.
- _ محمد مصايف، "دراسات في النقد و الأدب"، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط ، الجزائر ، 1988م.
- _ حسين الواد، "قراءات في مناهج الدراسات الأدبية"، سراس للنشر، ط1، تونس، 1985.
- _ إبراهيم صدقة، "التأثيرية و النقد التأثري عند محمد مندور"، رسالة مقدمة لنيل رسالة الماجستير، المعهد الوطني للتعليم العالي في اللغة و الآداب العربية.باتنة 1406هـ/1986 م .
- _ أحمد رحمانى، "النقد التطبيقي الجمالي و اللغوي في القرن الرابع الهجري"، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في النقد الأدبي القديم، معهد الآداب و اللغة العربية، جامعة قسنطينة 1408هـ/ 1987 م .
- _إلرود إيش، "التعريف بجمالية التلقي و نقدها، التلقي الأدبي"، ترجمة محمد برادة، دراسات سيميائية أدبية لسانية، 6(عدد خاص حول جمالية التلقي)، خريف/ شتاء 1992م.